

موقع تيقزيرت (إيومنيوم - Iomnium) دراسات و أبحاث أثرية

أ/ مصطفى دوربان

أستاذ مساعد - معهد الآثار - جامعة الجزائر

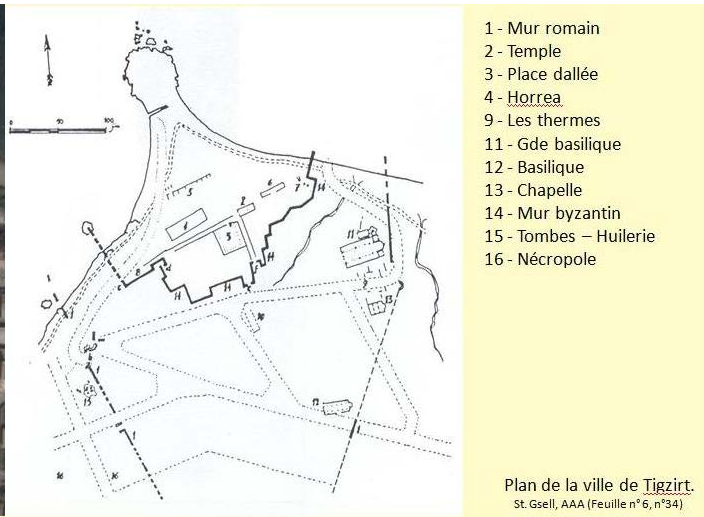
تعد مدينة تيقزيرت من المدن الواقعة على الشريط الساحلي الجزائري، المدينة حديثة النشأة، تاريخ بناءها يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر حوالي سنة 1881، موقعها الجغرافي جد هام لتوضعها أقصى شمال البروز الساحلية و المرتفعات القبائلية، تنغمر في البحر بالمنحدرات العديدة و كذلك بشبه جزيرة و أيضا بالجزيرة التي تبعد عن الخط الساحلي بمائة متر، يعد هذا الموقع البحري جد هام حيث يتوسط رأسين، رأس تادلس شرقا (موقع تاكسبت) و رأس بنقوت غربا (موقع مدينة دلس)، حيث شكلت هذه المواقع مراكز عبور و عبور في الفترات الزمنية الغابرة و أسماءها العتيقة لخير دليل على ذلك و التي توحى بالتواجد الفينيقي في المنطقة، حيث يعود الإسم العتيق لمدينة تيقزيرت "إيومنيوم" إلى الفترة الرومانية، إلا أن أصل وجودها يعود للفترة البونية.⁽¹⁾

لقد شهدت مدينة تيقزيرت كباقي المدن الأثرية عدة مراحل حضارية و تاريخية متفاوتة الأهمية، و هذا وفق المخلفات الأثرية، حيث جلبت إهتمام الباحثين والمنقبين و ذلك لفترة تفوق القرن من الزمن حيث شهدت تنقيبات وحفريات أثرية يمكن تحديدها في مراحل عديدة، حيث بدأت أولى التحريات سنة 1856 تلتها سلسلة من التنقيبات التي أدت إلى الكشف عن البازيليك المسيحية و المعبد الروماني مع نهاية القرن التاسع عشر. من أهم النتائج مخطط المدينة الذي نشر في الأطلس الأثري الجزائري (شكل 1) مع مقارنة إنجاز مقارنة للمخطط القديم بالإستعانة بالصورة الجوية (شكل 2) مع تحديد المواقع و المعالم الأثرية و قطاع القرية.

¹ Albertini (E.), l'article « Tizirt », in le livre d'or du département d'Alger, Alger 1926, p. 534.



شكل 2 - صورة جوية للموقع



- 1- Mur romain
- 2- Temple
- 3- Place dallée
- 4- Horrea
- 9- Les thermes
- 11- Gde basilique
- 12- Basilique
- 13- Chapelle
- 14- Mur byzantin
- 15- Tombes – Huilerie
- 16- Nécropole

Plan de la ville de Tizirt.
St. Gsell, AAA (Feuille n°6, n°34)

شكل 1 - مخطط وفق الأطلس الأثري الجزائري

تلت هذه المرحلة سلسلة من التنقيبات التي سجلت مع منتصف القرن العشرين قبيل إندلاع الثورة التحريرية، من 1949 إلى غاية 1954، حيث من أهم النتائج الكشف على عديد من المعالم التاريخية و المدينة العتيقة، و من أهم النتائج كانت كتابة و إنجاز قراءة لتاريخ المدينة، إلا أنه كان بالإستدلال بمعطيات خصبة مدينة "رسوكورو" دلس حاليا⁽²⁾، علما أن اللبس و الغموض الذي عرفه إسم المدينة العتيقة لم يفصل فيه نهائيا إلا بعد إكتشاف النقيشة أو الكتابة اللاتينية⁽³⁾. و كأخر مرحلة من تاريخ التنقيبات و البحث الأثري التي شهدتها مدينة تيقزيرت منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي أي من سنة 1990 إلى غاية 1994 و ذلك في إطار حفريات معهد الآثار لجامعة الجزائر و التي أشرف عليها الأستاذ محمد المصطفى فيلاح في إطار مشروع بحث حول المدن و الأرياف في الجزائر العتيقة مع مشاركة العديد من الطلبة من الطور الأول و ما بعد التدرج، حيث شكل الموقع مكان للتدريب في حقل الدراسات الأثرية و مكان للتمرين و البحث الأثري.

شهد الموقع الأثري عدة حملات مفادها تحديد المعالم و تهيئة الموقع للحفريات حيث تم تقسيم الموقع إلى سبع قطاعات و ذلك وفقا لحدود المعالم (شكل 3). حيث شملت المرحلة الأولى تنظيف الموقع الذي أعتبر مكان لتراكم القمامات حيث أعتبرت مرحلة بداية الأشغال و الأعمال بالموقع كمرحلة تحسيسية عن أهمية المخلفات الأثرية وأهميتها في كتابة التاريخ.

² Voir : Euzennat (M.), « l'histoire municipale de Tizirt, Rusuccuru colonia et municipium », in MEFR, t. LXIX, Paris, 1955 ; Frezouls (M.) et Hus (A.), « L'identification des villes de la cote Kabyle à l'ouest de Bougie » in MEFR, t. LXVIII, Paris, 1954

³ Laporte (J.P.) « Cap Djenat, une dédicace des Cissiani à Sévère Alexandre », in BCTHS ns, t. IX, Paris 1976, p. 33.



- 1 - المنطقة المشرفة على الميناء.
- 2 - موضع المنصة و الكنيسة المسيحية.
- 3 - موضع المعسكر الروماني.
- 4 - موضع الحصن البيزنطي و المعسكر.
- 5 - موضع المنزل و المعصرة.
- 6 - موضع معبد الإله الحامي للمدينة.
- 7 - موضع الساحة المبلاة.

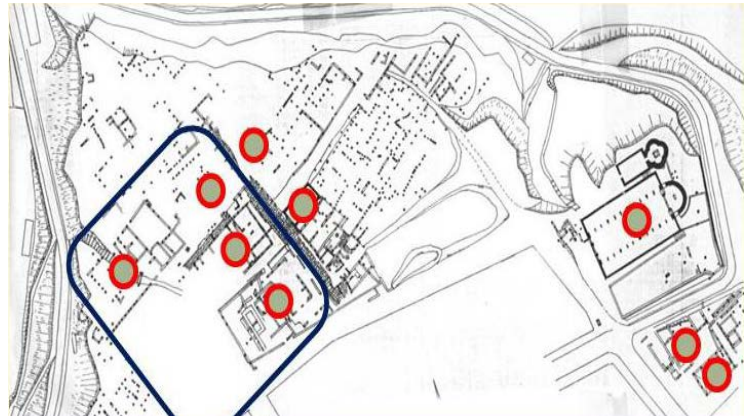
شكل 3 - صورة للموقع الأثري (تيفزيرت 2009)

الصور ل: د.د/ محمد المصطفى فيلاح (التريص الميداني - ماي 2009) - تركيب أ./ دوربان

أما من حيث التنقيبات فنسجل التدخلات التي شهدتها المنطقة الثالثة أي موقع المعسكر حيث تم إنجاز مخطط المعلم مع تحديد مجموعة من الأماكن للتنقيب و ذلك من أجل تصحيح المعطيات التاريخية و إعداد قراءات جديدة في تاريخ المعلم و من تم تاريخ الموقع.

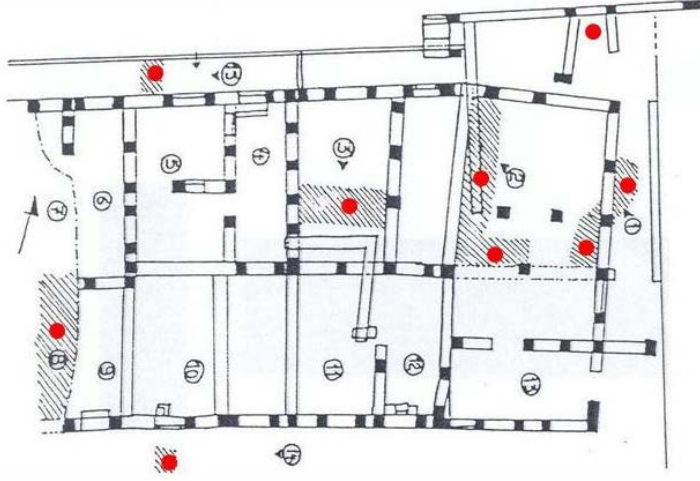


المعسكرات و موضعها المتتالي إلى غاية 4



شكل 4 - مخطط مجهول المصدر 1928 (أرشيف الوكالة الوطنية للأثار)

تعد المعسكرات إحدى المعالم الهامة لمدينة تيفزيرت حيث كان الإهتمام بهذا المعلم كونه قد شكل النواة الأولى للمدينة حيث خلال الدراسة و التنقيب أخذنا بعين الإعتبار المعالم المحيطة و بمحيطه العمراني قصد الوصول إلى نتائج تمكننا من معرفة دوره الذي يبقى غامض نوعا ما. و من خلال التنقيبات تحديد هيكل المعلم و إظهار مراحل تطوره نظرا للتعديلات التي شهدها الموقع ككل من جراء إعادة الإستعمال و التعديلات و من تم تحديد هوية المعلم، إن كان معلم مدني أو عسكري و ضمن نفس السياق محاولة قراءة جوانب من تاريخ المدينة.



شكل 5 - مخطط المعسكر و موضع الأسبار 1992-1993

مع التذكير أن منطلق البحث يرجع للخلط الذي عرفته الدراسات السابقة التي تطرقت إلى تاريخ المدينة، حيث فرض علينا البحث منهجية حيث تم تنقيب مجموعة من الأماكن (شكل 5) لأجل مقارنة المعطيات الميدانية منها الأثرية فيما يتعلق بالطبقة و العمرانية التي تتعلق بهيكل البناية، حيث تم دراسة اللقى الأثرية و التي بلغت 4610 قطعة فخارية و حوالي 180 قطعة أو عملة نقدية عثر عليها خلال تنقيب الأسبار

المنجزة، إلى جانب دراسة الكتابات اللاتينية محاولة منا التعرف عن السكان و فئاتها في مدينة إيومنيوم.

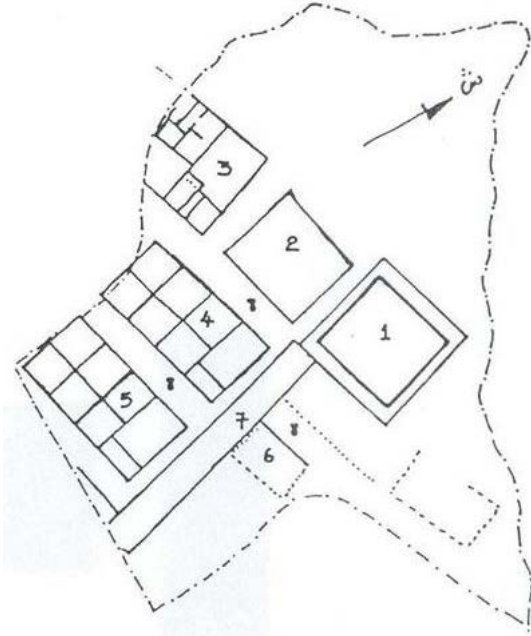
على ضوء المجالات المتناولة في دراسة الموقع الأثري لمدينة تيقزيرت نلخص أهم ما توصلت إليه فرقة البحث إلى نقاط عديدة غير أننا نرددنا في بعض الإستنتاجات ممي تطلب تقديم بعض الشروح، و تبقى هذه النتائج كثنمين لنتائج التنقيبات بصرف النظر عن أهميتها، حيث سمحت لنا مراجعة جوانب من تاريخ المدينة و تنقيح بعض المعطيات المتعلقة بالمعلم و الموقع و هي كالتالي :

1 من الناحية العمرانية :

شهدت الشبكة العمرانية للمدينة تغييرات و تعديلات توصلنا إليها من خلال الربط الذي أجريناه بين جل الملاحظات الواردة في تقارير الحفريات، حيث حدد موقع المدينة على منحدر حيث من خلال القياسات المنجزة يحدد بين 13.77 م في الجهة الجنوبية و 13.45 م على مقربة من الساحة في الجهة الشمالية. أما من ناحية المراحل التاريخية فنحددها في مراحل :

1 المرحلة الرومانية الأولى :

تمثلها مجموعة من المباني منها طريق الكاردو الذي ينتهي عند حدود الساحة المبلطة المحاطة بأروقة (تبقى الجهة الشمالية و الشرقية غير مكشوفة)، إلى جانب المنصة التي تواجدت في الجهة الغربية منها و تليها المخازن في نفس الإتجاه، إلى جانب كل المعالم المطلة على الطريق غربا و نخص بالذكر المعسكران (واحد متواجد داخل الحصن البيزنطي) مستويات هذه المعالم تتحصر بين 13 و 14 م ارتفاعا عن مستوى سطح البحر. 13.45 م في منتصف الطريق، 13.20 م عند تبليط الساحة، أقل من 13.30 م عند الجدران القاعدية للمعسكر، نفس المستوى بالنسبة للمنصة، كما نحصر تاريخ هذه المرحلة بين نهاية القرن الأول و منتصف القرن الثاني، أخذين بعين الإعتبار أيضا التاريخي المرجعي للكتابة اللاتينية المكتشفة سنة 1952.

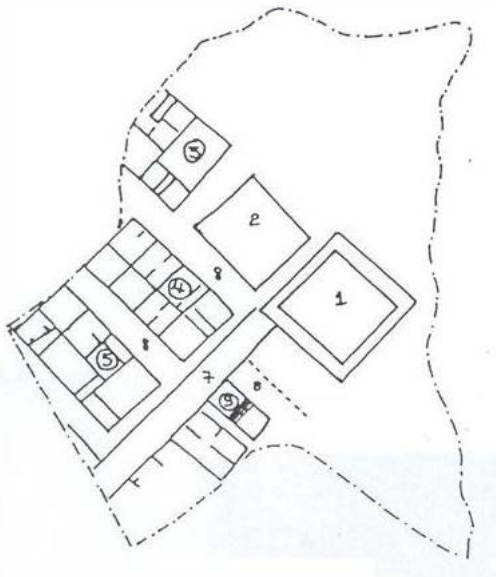


1- الساحة المبلطة. 2- المنصة. 3- المخازن. 4-5- المعسكرات.

6- منزل يوليوس فيليكس. 7- طريق الكاردو. 8- طريق الديكومانوس.

2 المرحلة الرومانية الثانية :

خلال هذه المرحلة من تعمير المدينة، بقيت المعالم المكونة لهذا الحي من المدينة على نفس الحال، و أهم التعديلات طرأت على عمران المدينة هو بناء معبد الإله الحامي لمدينة روسوكورو حيث تعد نقبشة تدشينه الدليل الوحيد و لا نستبعد تعديلات في المخازن و يلاحظ مجموعة من التعديلات على المعسكرين، يعود تاريخ هذه التعديلات إلى بداية القرن الثالث (تاريخ ناقشة المعبد).



1- الساحة المبلطة. 2- المنصة. 3- المخازن تعديلات . 4-5-

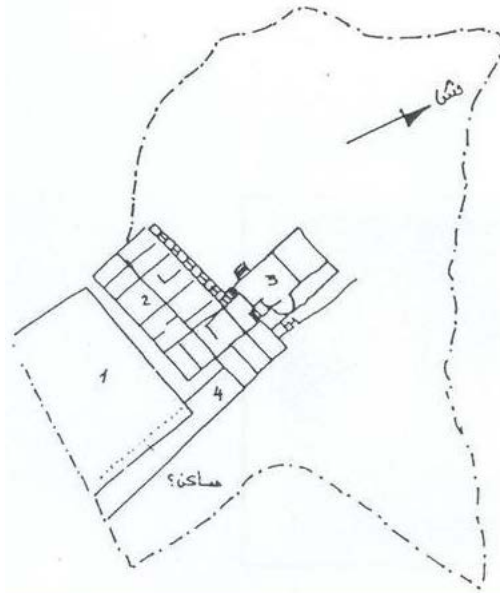
المعسكرات. تعديلات 6- منزل يوليوس فيليكس هدم المنزل و بناء المعبد (9)

7- طريق الكاردو. 8- طريق الديكومانوس. 9- بناء معبد الإله الحامي لمدينة

روسوكورو (موقع دلس حاليا)

3- المراحل المسيحية :

عرفت المدينة مرحلتين الأولى شملت بناء كل من البازيليكا المسيحية و الكنيسة الصغيرة فوق خزانات المياه المتواجدة على مقربة من الحمامات جنوب البازيليكا. و التي قد تؤرخ بالقرن الخامس ميلادي، بينما المرحلة الثانية تتمثل في بناء الحصن البيزنطي و سورہ الدفاعي، الذي توضع على جزء من الكاردو إلى جانب الكنيسة المسيحية الصغرى التي توضع على المنصة شمال المعسكر، كما يعود تاريخ توضع طريق الديكومانوس إلى نفس المرحلة حيث شكلت المستويات الرومانية أرضية قاعدية لهذه المباني. تاريخ هذه المرحلة التي من خلالها تم التقليل من حدود المدينة حيث أستثني موقع البازيليكا المسيحية و المعالم المتواجدة جنوبا، علما أن الحصن بني بإستعمال حجارتهما، فالتاريخ المرجح هو القرن السادس ميلادي.



1- بناء الحصن البيزنطي. 2- المعسكرات، تعديلات عديدة بناء منازل ودكاكين أو متاجر. 3- تعديلات و بناء الكنيسة المسيحية فوق المنصة. 4- طريق الكاردو.

مستويات هذه المرحلة التاريخية تتراوح بين 14 و 16 متر، حيث نجد 14.20م بالنسبة للديكومانوس و هو أدنى مستوى، بينما 15.08 و 15.45 بالنسبة للكنيسة فوق المنصة، بينما الحصن البيزنطي 15.70م و هو المستوى العلوي، علما أنه توضع فوق الطريق الروماني.

رغم المعطيات الجديدة و النتائج المتحصل عليها من عمليات البحث الأثري يبقى هذا العمل محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على الوضع الحالي للموقع و محاولة في تنقيح المعطيات التاريخية لمدينة تيقزيرت، كما نشير إلى بقاء بعض التساؤلات مطروحة منها التعمير ودورها العسكري رغم ملامستنا إلى جوانب منه، كما يبقى تصنيف المدينة محل نقاش، و نشير إلى أن هذه النتائج تشكل لبنة ناتجة عن جهود جزائرية لأجل إرساء و تكوين مدرسة أثرية حيث شكل الموقع حقل لتمرين و تدريب طلبة معهد الآثار كون حوصلة الدراسات لخير دليل على ذلك علما أننا نسجل خلال فترة التنقيب (1992-1994) إنجاز تسع 9 مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس، أربعة 4 مذكرات السنة الأولى ماجستير و رسالة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة.